المبحث الثانى

العوامل الاجتماعية

تشكلت التركيبة السكانية فى إقليم دارفور من السكان الأصليين والهجرات الوافدة من شمال إفريقيا والمنطقة العربية وغرب إفريقيا، ولهذا ترتبط دارفور بمحيط بشرى يمتد إلى خارج حدودها فى الجهات الأربع، حيث تتداخل القبائل المشتركة مع إقليم كردفان وتشاد وإفريقيا الوسطى وليبيا[1]، وليس هنالك حدود طبيعية تذكر بينها وبين كل من تشاد وإفريقيا الوسطى مما سهل عملية التواصل الاجتماعى والثقافى والاقتصادى بين مواطنى دارفور ومواطنى هاتين الدولتين، من ناحية أخرى فإن هذا التواصل جعل كلا من هذه الدول تؤثر تأثيرا كبيرا على الدولة الأخرى فى الجوانب الأمنية، وبالرغم من أن الصحراء الكبرى تمثل حاجزا بين دارفور والجماهيرية العربية الليبية، فإن هنالك قدرا من التواصل بين سكانها وسكان المدن الجنوبية من الجماهيرية العربية الليبية، وقد ازدادت معدلاته بعد توفر وسائل النقل الحديثة.

ونسبة لسهولة انسياب الهجرات السكانية المتبادلة بين دارفور والدول المجاورة لها فإن أغلب المجموعات السكانية بدارفور – وخصوصا تلك التى تعيش على الحدود – لها امتدادات فى الدول المجاورة مما يجعل التمييز بين سكان الدول الثلاث أمرا بالغ الصعوبة وعلى وجه الخصوص بين سكان دارفور والمنطقة الشرقية من دولة تشاد[2].

ومع هذا التعدد الإثنى والقبلى الواسع فقد عرفت المنطقة الدولة بمفهومها العام منذ القرن الثانى عشر الميلادى بكل ما تضمنه ذلك من روابط اجتماعية ومصالح مشتركة وأسس

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر:

– عبده مختار موسى، دارفور من أزمة دولة إلى صراع قوى عظمى، مرجع سابق، ص ٨٢.

– التقرير الاستراتيجى السودانى السادس ٢٠٠٤م – ٢٠٠٥م، مركز الدراسات السودانية، الخرطوم، ٢٠٠٦م، ص ٧–٨.

(٢) لجنة تقصى الحقائق حول الادعاءات بانتهاكات حقوق الإنسان المرتكبة بواسطة المجموعات المسلحة بولايات دارفور، موقع وزارة الخارجية السودانية، ٢٠٠٥م.

http://www.mfa.gov.sd/arabic/sudanesefiles/20050727150746.doc

تنظيمية وقانونية تحدد واجبات وحقوق كافة الأطراف المعنية، وواصل هذا التطور ذروته بانتشار الإسلام فى المنطقة، وتحول اللغة العربية إلى لغة تخاطب بين المجموعات المختلفة وإلى أداة مهمة فى عملية الاندماج وعملية التمازج التى حدثت فى إقليم دارفور[1].

ومن ثم تتعدد الإثنيات فى إقليم دارفور إذ إنهم خليط من المجموعات الإفريقية والعربية؛ حيث إن المجموعات العربية التى وفدت إلى هذا الإقليم منذ عهود طويلة، وكذا المجموعات الأخرى التى جاءت من أنحاء متفرقة من القارة فى فترات لاحقة قد امتزجت بالمجموعات المحلية بنسب متفاوتة.

كما يبرز عدد من المهتمين بشئون القبائل وعلماء الأنثروبولوجيا السياسية أنه من أهم أسباب الصراعات والحروب القبلية التى تندلع بين الحين والآخر فى إقليم دارفور هو الصراع السياسى القائم على العصبية القبلية والرغبة الجامحة فى تولى المناصب الدستورية، وحرص بعض مثقفى دارفور على تحقيق تطلعاتهم السياسية وطموحاتهم الشخصية، ذلك بتأجيج الصراعات القبلية[2].

ولهذا يتناول المبحث بنيوية المجتمع فى دارفور، و أسباب النزاعات القبلية فيما يلى:

أولا القبائل فى دارفور:

يقدر عدد سكان إقليم دارفور بستة ملايين نسمة موزعين على عدد من القبائل الإفريقية والعربية يجمعها الإسلام والمصاهرات، وتفرق بينها الأعراق والمصالح والسياسة. ويعيش

(١) انظر:

– عبده مختار موسى، دارفور من أزمة دولة إلى صراع قوى عظمى، مرجع سابق، ص ٨٢.

– التقرير الاستراتيجى السودانى السادس ٢٠٠٤ م – ٢٠٠٥م، مرجع سابق، ص ٧–٨.

(٢) من أبرز الأسباب التى ساعدت على تفاقم الصراعات القبلية تجميد دور الأحزاب السياسية خلال العهد المايوى ١٩٦٩م–١٩٨٥م وحكم الإنقاذ قبل انتهاج النظام التعددى فى الدولة، فحينما لم يكن فى مقدور السياسيين استقطاب الناس على أساس الولاء الحزبى القديم، بات الخيار المتاح لدعوة الناس للالتفاف حول مرشح ما هو «انتماؤه القبلى»، لأن القبيلة كيان اجتماعى تقف مع الفرد عند المنعطفات الحرجة فى حياته، وتدافع عنه وتسترد له حقه المسلوب منه، وحتى إذا أدى ذلك إلى خوض المعارك القبلية فى ظروف استثنائية تمر بها الولاية، وهى انحسار دور الدولة ومؤسساتها فى توفير الحماية اللازمة للمواطن، فأصبحت القبيلة هى ملاذه بدل الشرطة والقضاء، ولما كان الانتماء القبلى بهذه الأهمية، سعى بعض السياسيين لاستغلال القبيلة كوسيلة للدخول إلى حلبة الصراع والتسابق المحموم نحو المناصب الدستورية بإثارة الفتن وتأجيج الصراعات القبلية. ولمزيد من التفاصيل انظر:

– الملاحق (توزيع القبائل فى دارفور)، (والكثافة السكانية فى دارفور).

– التيجانى مصطفى محمد صالح، «دارفور الأزمة والأبعاد»، مجلة الدراسات العليا، طرابلس، ٢٠٠٤م، ص ٦٧–٧٨:

Darfur›s Tribes . Justice African Sudan. -27-4-2010 http://www.justiceafricasudan.net/ -site2/index.php?option=com_docman&task=doc_download&gid=6&Itemid=94&lang=en

فى إقليم دارفور مجموعات سكانية مختلفة، وتندرج تحت مجموعتين رئيسيتين، وهما القبائل الإفريقية، والقبائل العربية[1].

حيث توجد فى شمال دارفور أغلبية القبائل العربية ومن أهمها «الزيادية»، «وبنى فضل» «والرزيقات» ومن فروعها «المحاميد» «والماهرية» «والعريقات» «والعطيفات» «والزبلات» ويعرفون «بـ رزيقات الشمال»، مقابل «رزيقات الجنوب» الذين هم أكثر اختلاطا بالقبائل الإفريقية.

وتوجد كذلك بالشمال قبائل ذات أصول إفريقية مثل قبيلة «الفور» – التى أعطت اسمها للإقليم – ويمتهن غالب أبنائها الزراعة، هذا بالإضافة إلى قبيلة «الزغاوة» ذات النشاط التجارى الواسع وامتدادها يدخل فى ليبيا وتشاد، فضلا عن قبائل مثل «الرزيقات» «والبرتى» «والميدوب».

أما غرب دارفور فتستوطنه قبائل إفريقية من أبرزها «المساليت» وهم أساسا فى مدينة الجنينة عاصمة المنطقة، وهناك قبائل «التاما» «والزغاوة» وبعض القبائل العربية مثل بنى حسين.

وفى جنوب دارفور توجد القبائل العربية مثل «الرزيقات» الجنوبيون «والهبانية» «والتعايشة»، وقبائل «البرقد» «والمعاليا» «والبنى هلبة» مثل «الفلاتة» «والداجو» «والقمر»، بالإضافة إلى قبائل إفريقية عديدة[2].

أ - أهم القبائل الإفريقية:

١ - قبائل «الفور»:

من أهم القبائل التى تعيش فى دارفور حتى إن اسم الإقليم مشتق منهم، وهم عبارة عن خليط من القبائل الإفريقية والعربية قدموا إلى البلاد فى حوالى القرن السابع الميلادى من

(١) لمزيد من التفاصيل انظر:

– أ.د. محمد الديب، «مشكلة دارفور إلى أين؟»، مجلة شئون الشرق الأوسط، مركز بحوث الشرق الأوسط، العدد ١٢، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١١١–١١٢.

– د.محمد محمود الصياد ود.محمد عبد الغنى سعودى، السودان.. دراسة فى الوضع الطبيعى والكيان البشرى والبناء الاقتصادى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٢٦–٣٨.

(٢) انظر:

– كمال الجزولى، مرجع سابق، ص ٣٥–٣٧.

– القبائل دارفور، موقع الجزيرة، ٣–١٠–٢٠٠٤م:
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/E19A3A7F-A095-4F15-9489-0137F820507D.htm

منطقة النوبة، ومن أشهر فروعهم «الكنجارة»، ويعيشون فى شرق جبل مرة، «والكراريت» ويعيشون فى جبل بمبى و«الغزر» ويعيشون فى دار أبادبما جنوب جبل مرة، وتتكون من مزارعين مستقرين يستخدمون الوسائل التقليدية، كما أنهم مؤسسو سلطنة «الفور» (١٦٥٠م – ١٩١٦م) وهم الحكام التاريخيون فى المنطقة[١].

٢ - قبيلة «الزغاوة»:

لقد اختلف فى أصل «الزغاوة» بين المؤرخين، فمنهم من يرى أن «الزغاوة» ينحدرون من العرب العاربة عرب الجنوب، وينسبون لقبائل حمير، وقد هاجروا قبل الإسلام بقرون واختلطوا بقدماء المصريين والنيليين، وكان من نتائج اختلاطهم بالقبائل ضياع لغتهم وأصبحت لهم مجرد لهجة (الرطانة)[٢].

والرأى الآخر الذى يتحدث عن أصل «الزغاوة» يقول إنهم سكان ليبيا الأقدمون واتصلوا بالحضارات الفينيقية، المصرية، والنوبية. «والزغاوة» القدماء لم يتبق منهم إلا عدد صغير يعيش فى عزلة ويسمون «الحداحيد»، ويعيشون فى معزل عن بقية «الزغاوة»، ولا يتزوجون منهم[٣].

«والزغاوة» ككل القبائل الإفريقية التى شاركت فى الحكم، كانوا يتخذون من النسب العربى وسيلة لاعتلائهم الحكم، والسبب الذى ألجأهم لذلك هو أن الدين الإسلامى والذى تعتز به القبائل الإفريقية دينا ظهر فى بلاد العرب، فمن ينتسب إلى البلاد التى ظهر فيها الإسلام هو الذى يكون جديرا بالحكم فى نظرهم.

«والزغاوة» كانوا أصحاب مملكة واسعة، وفى التاريخ المعاصر اتجه «الزغاوة» نحو الحواضر داخل وخارج السودان، مما أدى إلى إحداث تحول فى أنماطهم المعيشية والثقافية من رعاة أبالة ومزارعين وحرفيين بسطاء إلى تجار وموظفين ومتعلمين[٤].

(١) انظر:
– عبده مختار موسى «دارفور من أزمة دولة إلى صراع قوى عظمى»، مرجع سابق، ص ٨٣.
– سالم محمد المعلول،«التركيبة العرقية والقبلية لسكان دارفور، فى «دارفور الأزمة والأبعاد»، مجلة الدراسات العليا، طرابلس ٢٠٠٥م، ص ٥٠–٥٥.
– التقرير الاستراتيجى السودانى السادس ٢٠٠٤م – ٢٠٠٥م مرجع سابق، ص ٩.

(٢) محمد صالح أيوب، الدور الاجتماعى والسياسى للشيخ عبد الحق الترجمى، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ص –٤٥–٤٤.

(٣) عبد النعيم ضيفى عثمان، مرجع سابق، ص ١١–٢١.

(٤) عبد الوهاب الطيب بشير، أوضاع النازحين فى دارفور فى ضوء ديناميات الصراع بين الدولة والمعارضة=

٣ - قبائل «الداجو»:

يوجـد اختلاف بين المؤرخين حول أصل قبائل «الداجو»، وأصل الخلاف فى مكان القدوم، فمنهم من يرى أنهم سكان دارفور الأصليون، ومنهم من يرى أنهم قدموا من منطقة شمال إفريقيا، وهناك رأى يقول إنهم أتوا من منطقة النيل وسكنوا جنوب دارفور[١]، واستطاعوا التغلب على السكان المحليين وكونوا مملكة، وينتشر «الداجو» فى كل ولايـات دارفور ويتركزون فى «نيـالا»، «وأم كردوس»، «وكاسى»، ويعملون بالزراعة، وهم يتكونون من بطون عديدة تنقسم إلى أقسام[٢]، وتختلف لغتهم عن لغة «الفور» وهى تشبه لهجات النيل الأبيض[٣].

٤ - قبائـل «البرقـد»:

هذه القبائل لها خاصية فريدة وهى أنها تتكون من عشائر وقبائل شتى، حتى إن كلمة «برقد» معناها الشىء ذو الألوان المتعددة، وقد انقرضت لهجتهم ولم يعد لهم وجود.

أما عن أصل «البرقد» فهم زنوج يشبهون فى تركيبهم الجسمانى وعاداتهم أهالى إفريقيا الوسطى، وقيل إنهم من قبائل النوبة المختلطة بالعرب، ويعيش «البرقد» فى منطقة يحيط بها من ناحية الجنوب الغربى دار «الداجو»، ومن الجهة الجنوبية دار «الرزيقات»، ومن الشرق دار «البرتى»، ومن الشمال الشرقى «فلاتة كتاله» وشمالا «التنجر»، وغربا «الفور»[٤].

٥ - قبائـل «التنجور»:

اختلفت الآراء حول أصول قبيلة «التنجور»، فمنهم من يرى أنهم يعودون فى أصولهم إلى النوبيين، وأنهم هاجروا خلال القرنين الخامـس عشـر والسادس عشر الميلادى،

=المجتمع الدولى، أعمال الحلقة النقاشية حول أزمة دارفور، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٨٨-٨٩.

(١) محمد بن عمر التونسى، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق مصطفى محمد مسعد وخليل محمود عسكر، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ١٣٨.

(٢) انظر:

- عبد العزيز راغب شاهين، مرجع سابق، ص ٢١٠-٢١١.
- محمد بن عمر التونسى، مرجع سابق، ص ١٣٨.

(٣) عبده مختار موسى، دارفور من أزمة دولة إلى صراع قوى عظمى، مرجع سابق، ص ٨١.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر:

-عبد النعيم ضيفى عثمان، مرجع سابق ، ص ١١-٢١.

-عبد العزيز راغب شاهين، مرجع سابق، ص ٢١٠-٢١١.

ورأى آخـر يرى أنهم من قبائل بنى هلال العربية، ورأى يذكر أنهم من أصول بربرية، وقد استطاعت هذه القبيلة تكوين دولة فى شمال دارفور كانت معاصرة لدولة «الداجو»[1].

٦ - قبيلـة «الميدوب»:

هى قبيلة إفريقية رعوية تسكن فى أقصى شمال شرق دارفور وتصل حدود نفوذها حتى منطقة قبائل «العطوية» التى هى فى الأصل فرع من قبيلة «الكبابيش» العربية فى كردفان «ولـ الميدون» ملك يقيم فى منطقة المالحة،وهى بمثابة عاصمة «دار ميدوب»،وأهم مدنها المالحة – جبل عيسى – الحارة[2]،ويعودون فى أصولهم إلى بلاد النوبة، وكانوا يتحكمون فى طرق التجارة لوقوع بلادهم جنوب درب الأربعين[3].

٧ - قبائل «القمر»:

تعيش هذه القبائل فى غرب دارفور وتعرف أراضيهم بدار قمر شمال بـــلاد «المساليت»، كانت توجد مصاهرة بينهم وبين قبائل الفور، وتتحدث هذه القبائل العربية[4].

٨ - قبائل «التكرور»:

شعب «التكرور» تقع بلاده الأصلية فى منطقة غرب إفريقيا، وهم شعب مسلم استطاع تكوين دولة إسلامية فى غرب إفريقيا وهى سلطنة مالى، والتى كانت لها شهرة كبيرة، حيث قام سلطانها «منسا موسى» بزيارة الأماكن المقدسة فى الحجاز فى رحلة اعتبرت أسطورة فى البذخ والإنفاق، ويعيش «التكرور» الآن فى منطقة فوتا السنغالية، وينتشرون أيضا ما بين نهر النيجر وبحيرة تشاد، وفى منطقة سكوتو، وهم أولى القبائل الإفريقية التى اعتنقت الإسلام، وهاجروا إلى دارفور، وكردفان، وسنار وكسلا، ويتحدث «التكرور» اللغة العربية كلغة تخاطب بينهم.

---

(١) محمد بن عمر التونسى، مرجع سابق، ص ١٣٨.
وانظر: رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص ٢٦ – ٢٧.

(٢) أبوالقاسم إبراهيم الحاج، «أهم القبائل العربية وغير العربية فى دارفور»، موقع سودان أون لاين، ٠١–٠٩–٢٠٠٤م:
http://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=print&board=7&msg=1094051142&rn

(٣) عبد النعيم ضيفى عثمان، مرجع سابق ، ص ١١–٢١.

(٤) رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص ٣.

٩ - قبائل «الفلاتا»:

«الفلاتا» هى من القبائل الرعوية الوافدة إلى دارفور من غرب إفريقيا وهاجروا إلى منطقة دارفور منذ أزمنة بعيدة فى عهد السلطان أحمد ويتكلمون اللغة العربية.

ويتمركزون هناك حول منطقة «تلس» وهم رعاة أبقار، وتنتشر قبائل «الفلاتا» فى مناطق أخرى من السودان منها على سبيل المثال منطقة جنوب النيل الأزرق «والدمازين»، ومنطقة أم درمان «فلاتا» «ومايرنو»، وكانوا ينتشرون شرقا حتى داخل أثيوبيا فى منطقة أم حجر قبل أن يبعدهم الإمبراطور هيلاسلاسى[١].

١٠ - «المساليت»:

من أهم قبائل غرب دارفور «المساليت» وتعرف مناطقهم بدار «مساليت»، وهم من أصول إفريقية زنجية، وقد اختلطوا بالعرب بعد هجرتهم إليهم، وأهم مدنهم «الجنينة»، وتعتبر قبيلة «المساليت» من القبائل المشتركة بين السودان وتشاد[٢]، وقد جاء تقسيم القبيلة فى إطار المعاهدة التى وقعت بين الإنجليز والفرنسيين عام ١٩٢٠م، ويمتد نفوذهم من «وداى» غربا حتى «دار صليح» جنوبا، ومن «دار قمر» شمالا حتى قبائل «الفور» شرقا، ويتحدثون لغة خاصة بهم[٣].

ب - أهم المجموعات العربية:

تبرز الدراسات التاريخية أن قبائل «البقارة» هى من أقوى القبائل العربية فى السودان وأكثرها نزوعا للحرب، وهى تنتشر بين إقليم دارفور وكردفان، ولقد يسرت هذه النزعة الحربية لهذه القبائل التوسع فى جنوب دارفور، مما ترتب عليه الصدام الشديد مع العناصر الإفريقية لأن «البقارة» فى فصل الجفاف كانوا ينزحون بماشيتهم إلى الجنوب، حيث يختلطون «بالقبائل الإفريقية»، «والبقارة» عادة يتحركون نحو الشمال فى فصل

(١) أبوالقاسم إبراهيم الحاج، أهم القبائل العربية وغير العربية فى دارفور، موقع سودان أون لاين، ١-٩-٢٠٠٤م:
http://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=print&board=7&msg=1094051142&rn

(٢) عبد الوهاب الطيب بشير، مرجع سابق، ص ٨٩.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر:
- عبده مختار موسى، دارفور من أزمة دولة إلى صراع قوى عظمى، مرجع سابق، ص ٨٣.
- محمد بن عمر التونسى، مرجع سابق، ص ١٢٦.

الخريف حين يبدأ نزول المطر هربا بقطعانهم من المستنقعات، ويتجهون نحو الأراضى المتوسطة المطر فى الشمال، ولما كانت الأراضى الزراعية ملكا للقبائل الإفريقية المزارعة والمستقرة فى سلطنة دارفور كان على قبائل «البقارة» أن يؤدوا ضريبة عن إقامتهم أو مرورهم للرعى فى هذه الجهات وقت الأمطار ولما كانت «البقارة» غير مستعدة لدفع هذه الضرائب برغم تعدى قطعانها على مزارع القبائل المستقرة؛ كان التصادم لا مفر منه بينها وبين القبائل الإفريقية المزارعة فى جنوب وغرب دارفور والدائمة الاستقرار هناك[1].

ويمكن تقسيم «البقارة» إلى عدد من القبائل ومنها:

١ - قبيلة «الرزيقات»:

تعود أصول هذه القبيلة إلى جهينة، ويعتبرون من أغنى القبائل التى تعمل فى تربية الماشية، ولذلك يطلق عليها لقب «البقارة»، ويتميزون بالكثرة العددية، ويقال عليهم (ولاد رزيق هين التراب) كناية عن كثرة عددهم، وينقسم «الرزيقات» إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهم: نائب جد «النوابية» ومحمود جد «المحاميد»، وماهر جد «الماهرية»، وتنقسم هذه الأقسام الرئيسية إلى العديد من الأقسام، فالنوابية ينقسمون إلى قسمين كبيرين وهما: صمرة، وحمول، وينقسم المحاميد إلى قسمين هما: أحمد، أم ضحية، ولكل فرع بطون وأفخاذ[2]

٢ - «التعايشة»:

ينتسبون إلى قبيلة جهينة، وهذه القبيلة لها امتدادات داخل تشاد، وإفريقيا الوسطى، وهم قحطانيو الأصل، وجدهم الكبير اسمه أحمد تعيش، وينقسم «التعايشة» إلى قسمين وهما: العرج والقلادة. والنشاط الاقتصادى لقبائل «التعايشة» يعتمد على الزراعة والتجارة

(١) زكى البحيرى، دارفور أصول الأزمة وتداعيات المحكمة الجنائية الدولية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٤٠-٤١.

انظر - عبد الفتاح مقلد، الإسلام والعروبة فى السودان، دار العربى للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١٧٠-١٧٢.

- محمد عوض محمد، السودان الشمالى سكانه وقبائله، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م، ص ٢٢٦-٢٣٨.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر:

- عبد النعيم ضيفى عثمان، مرجع سابق، ص ١١-٢١.
- زكى البحيرى، دارفور أصول الأزمة وتداعيات المحكمة الجنائية الدولية، مرجع سابق، ص ٣٤-٣٥.
- عبده مختار موسى، دارفور من أزمة دولة إلى صراع قوى عظمى، مرجع سابق، ص ٧٩-٨١.

مع إفريقيا الوسطى، وتشاد، ويدفعون ضريبة تجارية تسمى (الليغو)، وفى فصل الخريف يقومون بزراعة الدخن، والذرة، والفول السودانى، والسمسم، وقد جاء «التعايشة» من تونس مع الأعراب ودخلوا السودان وسكنوا وادى مليط، ثم جاءوا لوادى «تعايشة»، أما ديارهم فتقع جنوب غرب ولاية دارفور.

٣ – «المسيرية»:

قدم المسيرية مع قبائل عربية فى هجرات متتالية من الغرب، وبدأوا فى الاستيطان بتشاد، ثم اتجهوا للسودان، ولهم بعض الفروع فى تشاد ويعتبرون من أغنى القبائل فى الثروة الحيوانية والزراعية، وينقسم «المسيرية» إلى فرعين وهما: الحمر والزرق، والحمر ينقسمون بدورهم إلى: «الفلايتة»، «العجايرة»، وينقسم الزرق إلى: «العلاونة»، و«العنينات»، والزرق (السود)، وقد استوطنوا فى منطقة جبل كرو بدارفور، وهى منطقة استراتيجية، حيث سهلت الدفاع عنهم ضد غارات قبائل البدو[1].

٤ – «المعاليا»:

ينسب «المعاليا» إلى قبيلة فزارة بنى شيبان، ويرجعون فى نسبهم إلى مضر بن نزار جد الرسول ﷺ، وتعتبر هذه القبيلة صاحبة الفضل فى نشر الإسلام فى السودان، وقد دخلت هذه القبائل السودان عن طريق مصر؛ لأنهم كانوا يسكنون فى وادى «العلاقى»، وقد سكنوا فى البداية جنوب دنقلة، ثم رحلوا حتى وصلوا إلى منطقة كردفان، وتنتشر هذه القبائل جنوب دارفور، كما يعيشون فى شرق السودان وسط قبائل «البشارية»، وفروع البجة، ويعيشون على ضفاف النيل الأبيض والأزرق فى قرى شمال جبل الأولياء وشرق النيل، كما تعيش مجموعة منهم غرب مدينة الفاشر عاصمة إقليم دارفور، وتوجد منهم مجموعة تعيش فى شمال الفاشر وسبب الانقسام هو التنافس على الزعامة والسلطة[2].

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر:

– د.عبد العزيز راغب شاهين، مرجع سابق، ص ٢١٨–٢١٩.

– سيد أحمد على عثمان العقيد، دارفور والحق المر الماضى و الحاضر و المستقبل، الدار العربية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١١–٢٠.

(٢) عبد النعيم ضيفى عثمان، مرجع سابق، ص ٢٠.

وتجدر الإشارة إلى أنه برغم الاختلاط والتمازج والتزاوج بين القبائل العربية والإفريقية وهى جميعها مسلمة حافظت القبائل ذات الأصول العربية على نوع من الاستعلاء الثقافى تجاه الزرقة (أى القبائل الإفريقية ذات اللون الأسود الداكن)، وتصاعد هذا الإحساس بالفروق العرقية والثقافية كلما زاد التصحر وضاقت سبل العيش، ومن ثم دفعت هذه العوامل الاقتصادية والاجتماعية القبائل العربية إلى الرغبة المتزايدة فى الاستيلاء على مزيد من الأراضى على حساب القبائل الإفريقية، وذلك بغض النظر عن الاتفاقيات السابقة بين الطرفين[1].

ومن ثم فإن التعدد القبلى الواسع فى إقليم دارفور بتعقيداته الأنثروبولوجية وأبعاده الجيوسياسية كان له تأثير على تطور الأزمة بإقليم دارفور فى جميع مراحلها المختلفة.

ثانيا أسباب النزاعات القبلية:

نتيجة لعدد من العوامل والأسباب التى سوف يأتى ذكرها لاحقا فإن مظاهر العنف القلبى والصدامات القبلية فى ولايات دارفوار قد تطورت منذ منتصف الثمانينيات، وبلغت ذروتها فى النصف الأول من التسعينيات، وتطورت من ظواهر اجتماعية سالبة مثل ظاهرة النهب المسلح إلى صراعات بين الرعاة والمزارعين حول الموارد الطبيعية، إلى نزاع سياسى فى مواجهة الدولة، ثم إلى صدام عسكرى، وحركة مسلحة ضد الدولة، وإلى تكوين ميليشيات قبلية وصلت إلى حد الصراع العرقى بين بعض القبائل العربية والقبائل الأخرى، مما أدى إلى تهتك النسيج الاجتماعى فى الأقليم وأصبحت مشكلة قومية وإقليمية[2]

وهذا يتضح من خلال الجدول التالى:

---

(١) أ.د. إجلال رأفت، «الأزمة فى دارفور.. الأسباب والتطورات والنتائج»، فى: د. نادية محمود مصطفى (محررا)، «أبعاد الصراع فى دارفور.. الأزمة والأفق المستقبلى»، مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٢٣.

(٢) – أ على أبو زايد على «النزاعات القبلية بولايات دارفور» أعمال الحلقة النقاشية حول ازمة دارفوار، معهد البحوث والدارسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٤١٥ – ٤٢٥.

ولمزيدٍ من التفاصيل انظر :

Darfur Destroyed: Ethnic Cleansing by Government and Militia Forces in Western" .Sudan", (New York: Human Rights Watch, Vol: 16, No: 6 A, May 2004), P. 6

http://www.hrw.org/en/reports/2004/05/06/darfur-destroyed

(جدول ١)

الجدول أدناه يبين عدد النزاعات القبلية فى ولايات دارفور فى الفترة من ١٩٣٢م – ٢٠٠٢م[١].

رقم	المجموعات المتنازعة	السنة	الولاية
١	«الكبابيش» و«الكواهلة» ضد «الميدوب» و«البرتى» أو «فوزين»	١٩٣٢م	شمال دارفور
٢	«الكبابيش» «والكواهلة» ضد «الزى ادية» و«الميدوب» (المالحة)	١٩٥٧م	شمال دارفور
٣	«الكبابيش» «والميدوب» (المالحة)	١٩٦٤م	شمال دارفور
٤	«الرزيقات» والمعالى (الضعين)	١٩٦٨م	جنوب دارفور
٥	«الزغاوة» «والرزيقات» الشمالية (كتم)	١٩٦٩م	شمال دارفور
٦	«الزغاوة» و«البرقد» (شعرية)	١٩٧٤م	جنوب دارفور
٧	«الرزيقات» «والبنى هلبة» (عد الفرسان)	١٩٧٦م	جنوب دارفور
٨	«الرزيقات» «والدينكا» (الشعين)	١٩٧٦م	جنوب دارفور
٩	«الرزيقات» «والداجو» (نيالا)	١٩٧٨م	جنوب دارفور
١٠	«الرزيقات» و«البرقد» (نيالا)	١٩٧٩م	جنوب دارفور
١١	«الرزيقات» «والقمر» (نيالا)	١٩٧٩م	جنوب دارفور
١٢	«الرزيقات» «والفور» (نيالا)	١٩٨٠م	جنوب دارفور
١٣	«الرزيقات» «والبنجا» (نيالا)	١٩٨٠م	جنوب دارفور
١٤	«التعايشة» «والسلامات» (نيالا)	١٩٨٠م	جنوب دارفور
١٥	«الكبابيش» «والككوهلة» ضد «الزيادية» «والميدوب» «والبرتى» (مليط)	١٩٨٢م	شمال دارفور
١٦	«الرزيقات» و«البنى هلبة» (نيالا)	١٩٨٢	جنوب دارفور

(١) – على أبو زيد على، مرجع سابق، ص ٤١٥–٤٢٥.

١٧	«الكبابيش» «والزيادية» ضد «البرتي»(مليط)	١٩٨٤م	شمال دارفور
١٨	«الرزيقات» «والمسيرية» (نيالا)	١٩٨٤م– ١٩٨٧م	جنوب دارفور
١٩	«الرزيقات» «والدينكا» (الضعين) (نيالا)	١٩٨٦م	جنوب دارفور
٢٠	«الكبابيش» و «وكوهلة» ضد «الزيادية» «والميدوب» و «البرتي» (مليط)	١٩٨٧م	شمال دارفور
٢١	«القمر» و«الفلاتة» (نيالا)	١٩٨٧م	جنوب دارفور
٢٢	«الفور» وبعض القبائل العربية (زالنجي)	١٩٨٧م	غرب دارفور
٢٣	«الفور» و«الزغاوة» الريتنات (كبكابية)	١٩٨٨م	شمال دارفور
٢٤	«الفور» و٢٧ قبيلة عربية (كل دارفور)	١٩٨٩م	كل دارفور
٢٥	«القمر» و«الزغاوة» (كلبس)	١٩٩٠م	غرب دارفور
٢٦	«البرقد» و«الرزيقات» (نيالا)	١٩٩٠م	جنوب دارفور
٢٧	«هبانية» و«الرزيقات» (برام)	١٩٩٠م	جنوب دارفور
٢٨	«القمر» و«التعايشة» (نيالا)	١٩٩٠م ١٩٩١م	جنوب دارفور
٢٩	«الزغاوة» و«المعاليا» (الشعين)	١٩٩٠م	جنوب دارفور
٣٠	«الزغاوة» و«المراريت» (الفاتمر)	١٩٩١م	شمال دارفور
٣١	«الزغاوة» والبنى حسين (كبكابية)	١٩٩١م	شمال دارفور
٣٢	«الزغاوة» و«الميما» (الفاشر)	١٩٩١م	شمال دارفور
٣٣	«الزغاوة» و«البرقد» (نيالا)	١٩٩١م	جنوب دارفور
٣٤	«الزغاوة» والرزيقات (نيالا)	١٩٩١م	جنوب دارفور
٣٥	«الفور» و«الترجم» (نيالا)	١٩٩١م	جنوب دارفور
٣٦	«الزغاوة» و«الرزيقات» الشمالية (كتم)	١٩٩٤م	شمال دارفور
٣٧	«المساليت» وبعض القبائل العربية (الجنينة).	١٩٩٦م– ١٩٩٨م	غرب دارفور

٣٨	«الزغاوة» و«الرزيقات» (الشعين)	١٩٩٧م ١٩٩٩م	جنوب دارفور
٣٩	«الزغاوة» السودانية و«الزغاوة» التشادية (باهاى بتشاد).	١٩٩٦م	تشاد
٤٠	«الميدوب» و«الكبابيش» (المالحة)	١٩٩٧م	شمال دارفور
٤١	«الرزيقات» و«الدينكا» (الشعين)	١٩٩٨م	جنوب دارفور
٤٢	«الهبانية» و«أبو درق» (برام)	١٩٩٨م	جنوب دارفور
٤٣	«الميدوب» و«البرتى» (مليط)	٢٠٠٠م	شمال دارفور
٤٤	«الزغاوة» و«القمر» (كلبس)	٢٠٠٠م	غرب دارفور
٤٥	«الرزيقات» الشمالية و«الرزيقات» الجنوبية (نيالا)	٢٠٠١م	جنوب دارفور[١].

ومن أبرز أسباب الصراعات القبلية فى إقليم دارفور:

أولا القرارات السياسية والإدارية:

وتمثلت فى عدد من السياسات القومية عبر الأنظمة الحاكمة يمكن إجمالها فى الآتى:

أ – حل الإدارة الأهلية من قبل نظام الرئيس السابق «جعفر النميرى»، وقد حلت محله لجان الاتحاد الاشتراكى، ولم يتناسب هذا الأسلوب الجديد مع التعددية الثقافية التى تميز الإقليم، مما أدى إلى إخفاق هذه اللجان فى إيجاد حل سلمى للنزاعات التى تنشب بين القبائل فتصاعدت الاحتكاكات، ولا سيما أنه فى الماضى كانت الإدارة الأهلية فى الإقليم (والمتمثلة فى السلطان والناظر والعمدة والشيخ) تتميز بقدرتها على التعامل السريع مع النزاعات القبلية التى تنشب فى الإقليم[١]، ويعود هذا ليس فقط للمكانة الاجتماعية التى يتمتع بها أفراد هذه السلطة بين القبائل، ولكن أيضا للسلطة القانونية التى كانت تخولها لهم الدولة[٢].

(١) د. عبد القادر إسماعيل، مشكلة دارفور.. الأصول التاريخية ومحاولات الحل السياسى والتدخل الدولى، الطوبجى للطباعة والنشر، القاهرة،٢٠٠٨م، ص ٢٦١.

(٢) أ.د. إجلال رأفت، «الأزمة فى دارفور.. الأسباب والتطورات والنتائج»، مرجع سابق، ص ٢٣، ٢٤.

ومن ثم أدى ذلك إلى تفاقم الصراعات وظهور النعرات القبلية الحادة والاستقطاب السياسى، وقد انتقلت هذه الصراعات من إطارها التقليدى إلى إطار إقليمى اكتسب أبعادا قومية تتعلق بالقضايا المطروحة على الساحة، مثل التهميش وقسمة السلطة والثروة وغيرها[1].

ب – اتخاذ قرارات إدارية فى تطبيق النظام الفيدرالى، فيما يتعلق بتقسيم الإقليم إلى ولايات وإعادة هيكلة وتسميات الإدارات الأهلية.

ج – تسييس القبائل وإخراجها من دورها الاجتماعى والخدمى، والزج بها فى الصراعات السياسية وقيام كيانات تنازع الإدارة الأهلية والسلطة التنفيذية مثل: مجالس الشورى وجعل القبيلة مدخلا للتعيينات السياسية، والزج بالقبائل فى نفرات الدفاع الشعبى لمواجهة القلاقل والانفلاتات الأمنية[2].

د – ضعف أجهزة الدولة وفرض سطوتها فى حماية المواطنين وثرواتهم[3].

هـ – عدم تحريك التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتوقف المرافق التعليمية، مما أدى إلى البطالة التى تمثل وقودا للحرب القبلية.

ومن ثم أخذ الصراع فى دارفور طابعا إثنيا وعرقيا بسبب غياب التنظيمات الحديثة مثل الأحزاب والاتحادات والنقابات، وأعادت النظم الحاكمة الانقسامات والولاءات القبلية وعملت على تأييد الفروق الإثنية والعرقية مستخدمة سياسة «فرق تسد» التى ابتكرها البريطانيون فى الإدارة الأهلية (Divide and Rule)، بل إنها انحازت إلى بعض القبائل والمجموعات الإثنية، وقامت بتقريبها ومنحها الامتيازات وفرص العمل فى الجهاز التنفيذى، بل سلحت بعض القبائل بأسلحة ومدتها بالمال.

(١) – تجدر الإشارة إلى أنه قد شكل السيد رئيس جمهورية السودان بموجب القرار رقم ٩٧ لسنة ٢٠٠٤م لجنة لتقصى الحقائق حول الادعاءات بانتهاكات حقوق الإنسان المرتكبة بواسطة المجموعات المسلحة بولايات دارفور. ولمزيد من التفاصيل انظر:

– لجنة تقصى الحقائق حول الادعاءات بانتهاكات حقوق الإنسان المرتكبة بواسطة المجموعات المسلحة بولايات دارفور، وزارة الخارجية السودانية، ٢٠٠٥م:

http://www.mfa.gov.sd/arabic/sudanesefiles/20050727150746.doc.

(٢) على أبو زيد على «النزاعات القبلية بولايات دارفور»، مرجع سابق، ص ٤١٥–٤٢٥. ولمزيد من التفاصيل انظر:

نورا عبد القادر حسن، «التمرد المسلح فى دارفور.. ساحة جديدة للقتال فى السودان»، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٥٣، القاهرة، يوليو ٢٠٠٣م، ص ٢٦٧.

(3) Hoile David, "Darfur in Perspective", (London: European-Sudanese Public Affairs Council, First Edition, 2005), P. 11

كما سرع النظام الفيدرالى من عملية الصراع حول السيطرة على السلطة الإقليمية على أسس إثنية وعرقية (Ethnicization)، ويمكن القول إن الإثنية قد واكبتها أيديولوجية الاستعلاء العرقى من قبل السودانيين الذين يدعون انتسابهم لأصول عربية، ومن ثم فقد انتشرت فكرة وجود خطر على العنصر العربى فى دارفور، وأنه مهدد من قبل العناصر الزنجية[1].

ثانيا الأسباب البيئية:

تعتبر الأسباب البيئية التى ضربت منطقة غرب ووسط إفريقيا، وموجة الجفاف والتصحر التى قضت على معظم المراعى ومصادر المياه والأرض الصالحة للزراعة، أدت إلى حدوث مشاكل بين المزارعين والرعاة من جانب، وصراع على الموارد الطبيعية فى المنطقة من جانب آخر؛ مما أدى إلى إخلال فى مسارات الرعاة ومساحات الزراعة[2].

ثالثا النزاع العرقى فى ولايات دارفور:

يمكن القول إن الصراع على الموارد المحدودة بين الرعاة المزارعين ورعاة الإبل، لا سيما إذا أخذنا فى اعتبارنا أن انحسار المناطق الرعوية والزراعية هى من أهم الأسباب التى جعلت منطقة جبل مرة فى ولاية غرب دارفور وجنوب دارفور قبلة الرعاة والمزارعين.

ونتيجة للصدامات المتكررة بين الرعاة وسكان المنطقة، وضعف المؤسسات الرسمية فى حماية المواطنين وممتلكاتهم، تكونت مجموعات قتالية قبلية عرفت بالميليشيات فى منطقة جبل مرة، لحماية القرى والسكان والتصدى للرعاة، ورأت الدولة عدم مشروعية هذا النهج، مما أدى إلى إعلان التمرد ضد الدولة فى منطقتى جبل مرة.. وكونول بدار زغاوة.

ورأت المجموعات الرعوية أن المجموعات العرقية المكونة لجيش تحرير السودان المناهضة للدولة هى المجموعات ذاتها التى توالى الصدام بينها وبينهم فى منطقة جبل مرة، وفى غرب دارفور «المساليت»، وفى شمالها «الزغاوة».

---

(١) حيدر إبراهيم على، «أزمة دارفور.. الأسباب والآفاق المستقبلية»، (مؤسسة البيت العربى، مدريد: ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٧م):

http://www.casaarabe-ieam.es/~archivos/textos/20070920haydar_AR.pdf

(٢) ياسر مسعود، خلفيات الصراع فى دارفور، مركز الراصد للدراسات، مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، ٢٠٠٥م، ص ٥-٧.

كما نشطت المجموعات الرعوية فى الاستجابة للنفرات الحكومية فى مؤسسات الدفاع الشعبى والتعاون مع الأجهزة الرسمية والمنفلتين، مما أعطى طابعا عرقيا للنزاع بين حاملى السلاح والمجموعات الرعوية التى عرفت بـ «الجنجويد»[١].

رابعا الأسباب الإقليمية والدولية:

يمثل إقليم دارفور– نظرا لحدوده المفتوحة ولمساحته الشاسعة ولوجود قبائل عديدة لها امتدادات داخل دول إفريقية أخرى– منطقة صراع مستمر[٢]، ومن ثم تأثرت ولايات دارفور بالنزاعات السياسية الإقليمية على حدودها الغربية والشمالية الغربية، فالحرب التشادية – التشادية التى استمرت منذ منتصف السبعينيات وحتى منتصف التسعينيات، والحرب التشادية الليبية،هذا بالإضافة إلى الصراعات الداخلية بإفريقيا الوسطى، ومن ثم راج فى دارفور انتشار السلاح ولجوء بعض المجموعات السكانية من تشاد إلى داخل السودان، مما أدى إلى زيادة وتيرة العنف وظاهرة النهب المسلح بين القبائل، كما تفاعلت قبائل الإقليم مع تلك الأزمات[٣].

ومن الجدير بالذكر أن مصادر من الحكومة السودانية ترى أن طبيعة المشكلة الأمنية فى دارفور قبلية فى أصلها ونشأتها وتطوراتها، وقد تطورت بمرور الزمن، وتداخلت وتبدلت المعطيات إلى ما هى عليه اليوم، وذلك وفقا لتقرير(آلية حفظ السلام وبسط هيبة الدولة بدارفور)، والذى قدم فى مايو ٢٠٠٣م أمام المجلس الوطنى (البرلمان السودانى) وإن كانت تظل الأسباب التى أدت إلى قيامها متمثلة فى الآتى:

أ – الصراع المستمر والمتطور بين القبائل على الماء والكلأ.

ب – محاولة امتلاك الأرض والحواكير (وهى التقسيم المحلى للأراضى الزراعية) من بعض القبائل التى ليس لها حواكير.

---

١ – على أبو زيد على «النزاعات القبلية بولايات دارفور»، مرجع سابق، ص ٤١٥–٤٢٥.

٢ – «اتفاقات ومبادرات الصلح بين السودان وتشاد ودورهما فى استقرار العلاقات بين البلدين»، موقع الراصد للدراسات السودانية،٢٧–٥–٢٠٠٩م:

http://www.arrasid.com/index.php/main/index/4/20/contents

٣ – لمزيد من التفاصيل انظر:

– هانى رسلان، «تفاعلات ما قبل اتفاق السلام فى السودان.. بين إرهاصات التحول الديمقراطى وانفجار الأوضاع فى دارفور»، مجلة السياسة الدولية، العدد،١٥٥، القاهرة، يناير٢٠٠٤م، ص ٢٠٣.

ج – تمسك وإصرار بعض هذه القبائل ذات الأرض بالانفراد الكامل بملكية الأرض وعدم السماح بمشاركة الآخرين.

د – تسييس هذه الصراعات، واستغلالها للوصول إلى كراسى الحكم وتحقيق بعض المكاسب الشخصية[1].

هـ – انفتاح الحدود بين دارفور وتشاد، والتداخل القبلى الكبير بينهما، والانتشار الكبير لحاملى الجنسية المزدوجة، وسهولة الدخول بين الطرفين، ونقل الكثير من الطبائع المختلفة والمتناقضة التى أوقدت جذور المشكلة الأمنية.

وإن حاول التقريـر أن يخفف من طبيعة الأزمة ويقدمها بصورة مختلفة عما قدمته وسائل الإعلام الخارجية، فجاءت فيه هذه العبارة:

(تبدو الصورة للسامع الذى لا يعرف جغرافية وتاريخ دارفور عن قرب، وكأن كل ولايات دارفور تشتعل حربا وتتقطع إربا، ولكننا نقول إن الوضع ليس بالقتامة التى يصورها الإعلام والمغرضون، ولكن الأحداث تترابط مع بعضها فى سلسلة تاريخية متعددة الحلقات ومتصلة الدوائر منذ سنين خلت فى منطقة جغرافية تنحصر فى أجزاء من محافظات «كتم»، و«كبكابية» و«زالنجى» و«وداى صالح»، و«كأس» و«جبل مرة»[2]).

❑❑❑

(١) طارق أحمد عثمان ومبارك محمد عبد المولى، «الصراع فى دارفور»، فى أعمال الحلقة النقاشية حول أزمة دارفور، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٥م ص ١٥٧.

(٢) تقرير آلية حفظ الأمن وبسط هيبة الدولة بدارفور أمام المجلس الوطنى، ولايات دارفور الكبرى، مايو ٢٠٠٣م، ص٢-٤.

obeikan.com